تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين ﷲ ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية { أولئك في الأذلين } أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والاخرة { كتب ﷲ لأغلبن أنا ورسلي } أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والاخرة { إن العاقبة للمتقين } كما قال تعالى : { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار } وقال ههنا : { كتب ﷲ لأغلبن أنا ورسلي إن ﷲ قوي عزيز } أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والاخرة ثم قال تعالى : { لا تجد قوما يؤمنون باﷲ واليوم الآخر يوادون من حاد ﷲ ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم } أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من ﷲ في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم ﷲ نفسه } الاية .

وقال ﷲ تعالى : { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من ﷲ ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي ﷲ بأمره واﷲ لا يهدي القوم الفاسقين } وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الاية { لا تجد قوما يؤمنون باﷲ واليوم الآخر } إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد ﷲ بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب Bه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة Bهم : ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وقيل في قوله تعالى : { ولو كانوا آباءهم } نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر { أو أبناءهم } في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن { أو إخوانهم } في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ { أو عشيرتهم } في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فاﷲ أعلم .

قلت : ومن هذا القبيل حين استشار رسول ﷲ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل ﷲ تعالى أن يهديهم وقال عمر : لا رأى ما أرى يا رسول ﷲ هل تمكنني من فلان قريب لعمر فأقتله وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم ﷲ أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة

بكمالها وقوله تعالى : { أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه } أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد ا ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب ا في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي : { كتب في قلوبهم الإيمان } جعل في قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس { وأيدهم بروح منه } أي قواهم .

وقوله تعالى : { ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها Bهم ورضوا عنه } كل هذا تقدم تفسيره غير مرة وفي قوله تعالى : { Bهم ورضوا عنه } سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في ا تعالى عوضهم ا بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم وقوله تعالى : { أولئك حزب ا ألا إن حزب ا هم المفلحون } أي هؤلاء حزب ا أي عباد ا وأهل كرامته وقوله تعالى : { ألا إن حزب ا هم المفلحون } تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والاخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال : { ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون } .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال : هو عبد الحميد بن سليمان ـ انقطع من كتابي ـ عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه ا تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول ا صلى ا عليه وسلّم [إن ا يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة] فهؤلاء أولياء ا تعالى الذين قال ا : { أولئك حزب ا ألا إن حزب ا هم المفلحون } وقال نعيم بن حماد : حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته إلي { لا تجد قوما يؤمنون با واليوم الآخر يوادون من حاد ا ورسوله }] قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكري آخر تفسير سورة المجادلة و الحمد والمنة